

التعليق على صحيح البخاري

[الدرس الخامس]

لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح عبد الكريم

حفظه الله ورعاه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأما بعد:-

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، نستأنف الحديث حول التعليق على أحاديث صحيح البخاري وقد بدأنا في اللقاء الماضي بذكر الحديث الأول من أبواب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

### الحديث الثاني قال باب، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣)

(١٠٥٤)

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُقْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا

يَقُولُ"، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي  
الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا

"

هنا هذا الحديث البخاري قال فيه بابٌ ثم أورد هذا الحديث، وهذه من طرق الإمام البخاري في التبويب أنه يذكر كلمة باب من غير عنوان، وأهل العلم ذكروا في ذلك عدة وجوه، فقالوا أن تبويب البخاري بذكر كلمة باب من غير تعيين عنوان إشارةً إلى أن هذا الباب تَمَّةٌ للباب السابق (تَمَّةٌ للباب السابق).

وقال بعض أهل العلم أن ذكر الباب من غير تعيين العنوان هو من طريقة البخاري لشحذ ذهن القارئ؛ حتى يستنبط عنواناً مناسباً لهذا الحديث وهذا المقصد موجودٌ مضطربٌ في الصحيح، أن البخاري - رحمه الله - يستحث الأذهان أن تعمل في معرفة التراجم.

وقيل وهو قولٌ ضعيفٌ أن البخاري تركه مسودة حتى يبيضه فيما بعد ولكنه لم يبيضه وهذا القول فيه ضعف.

وهنا في هذا الحديث ابتداءً فيه البخاري بشيخه عبد الله بن يوسف التنيسي وأصله دمشقي نزل تنيس من مصر وهو من رواة الموطأ، أحد رواة الموطأ المشاهير عبد الله بن يوسف، والبخاري سمع منه الموطأ ويروي عنه كثيراً، ثم قال: أخبرنا مالكٌ (إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي المدني معروف) عن هشام بن عروة (هشام بن عروة بن الزبير بن العوام أيضاً تابعي

مدني) عن أبيه (عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة وعائشة رضي الله عنها تُعد حالة عروة لأن عروة ابن أسماء، وكان يُكثر من الرواية عن خالته عائشة رضي الله عنها) عن عائشة أم المؤمنين ((أم عبد الله، هل يُشرع أن يُقال أم المؤمنات؟ الشائع يُقال أم المؤمنين، نعم يجوز أن يُقال أم المؤمنات ويجوز أن يُقال أم المؤمنين، وإطلاق أم المؤمنين من باب الغلبة (من باب الغلبة) فيدخل فيه النساء على وجه التبع)) قال أن الحارث بن هشام (وهو الحارث بن هشام المغيرة صحابي) سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي (وهذا فيه حرص الصحابة على السؤال وفيه أيضاً سؤال الصحابة عن دقائق الأمور التي تورث الإنسان زيادة الإيمان فهنا السؤال عن الوحي وعن طريقة مجيئ الوحي للنبي ﷺ) فقال أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس (هنا بيان من النبي ﷺ لبعض صور نزول الوحي، لا شك أن النبي ﷺ كان يوحى إليه من وراء حجاب، يعني يخاطبه الله ﷻ كما في حادثة الإسراء، وأيضاً كان يُنفث في روع النبي ﷺ، ومن صور الوحي كما سوف يأتيها الرؤية الصالحة، ومنها هذه الصور التي ذكرها النبي ﷺ).

وذكر بعض أفراد العام لا يعني التخصيص (ذكر بعض أفراد العام لا يعني التخصيص) يعني هنا لما سُئل النبي ﷺ كيف يأتيه الوحي؟ فذكر النبي ﷺ صورتين من صور كثيرة عديدة، فذكر البعض لا يدل على التخصيص، وذكر البعض أحياناً من جملة العام يكون لمزيد العناية فقد تكون هذه الصور هي الأكثر أو الأغلب ولذلك ذكرها النبي ﷺ، وهذا مضطرد يعني من

قواعد الأصول أن ذكر بعض أفراد العام لا يعني التخصيص إلا إذا كانت بوصف مُعين خاص.

قال: " **أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ** "، أي مثل الصوت المتتابع، الجرس معروف أصوات مُتتابة متواترة تأتي على التوالي، فكان يأتي على النبي ﷺ صوت متوالي، لا ينقطع، يتبع بعضه بعضاً، ثم يعي النبي ﷺ هذا الكلام.

قال: " **أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ** "، هذا بيان من النبي ﷺ أن صور الوحي كانت تختلف في القوة لما تأتي النبي ﷺ وهذا سوف يأتينا بإذن الله ﷻ، وهذه الشدة على النبي ﷺ في مجيء الوحي فيه زيادة لأجر النبي ﷺ (فيه زيادة لأجر النبي ﷺ) وهذه الشدة أيضاً هي مصداق الآية ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾ [المزمل: ٥].

فالوحي فيه شدة في نزوله على النبي ﷺ .

قال: " **فَيُفْصِمُ عَنِّي** " أي: يتجلى وينقطع الوحي عني وقد وَعيت عنه ما قال، يعني بهذه الصورة بعد ما تأتي بصورة متتابعة مثل صوت الجرس المتوالي عليه فيعي النبي ﷺ ما جاء من الوحي.

قال: " **وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي** " وهنا الملك هو جبريل والألف واللام للعهد، الملك المعهود الذي يأتي بالوحي هو جبريل ولا يؤخذ منه العموم، الألف واللام الأصل فيه ماذا؟ العموم، وهنا يُراد به الخصوص، هنا عهديّة ذهنية الملك الموكل بالوحي.

قال: " **يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا** " ، وهذا فيه أن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أعطى الملائكة قدرات خاصة في التَّشكُّل، فهنا يتشكل على هيئة رجل، وهذا جاء في حديث عمر في ما يُسمى بحديث جبريل - عليه السلام - الطويل وكان يأتيه في صورة دحية الكلبي، فكان الوحي يأتيه في صورة رجل وهذا أخف على النبي ﷺ من الصورة الأولى.

قال: " **فِيَكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ** "، وهذا أيضاً فيه إثبات الملائكة على عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً للفلاسفة الذين يقولون أن الملائكة أمور معنوية، فأهل السنة والجماعة يثبتون الملائكة وأنهم على الحقيقة كما جاء في نصوص الكتاب والسنة.

قالت عائشة رضي الله عنها: " **وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ** ، هذا فيه مزيد تأكيد لصور مجيء الوحي للنبي ﷺ ، **وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ** "، الأصل في أيام البرد أن الإنسان لا يجد العرق، ولا يتصبب منه العرق بسبب هذا البرد.

قال: " **فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا** "، انظروا هذا فيه تشبيه بالفصد، الفصد هو طريقة علاجية معروفة بقطع جزء من العرق الذي منه يخرج الدم بقوة، وهذا التشبيه المراد به تشبيه خروج ونزول العرق من النبي ﷺ كخروج الدم حينما يُفصد من جسد الإنسان، إشارة إلى المبالغة وكثرة وقوة الشدة على النبي ﷺ في نزول العرق في هذه الصورة من مجيء الوحي للنبي ﷺ .

وهذه الرواية "وإن جبينه ليتفصد عرقاً" صحفه بعض الرواة بقولهم يتقصد بدل ذكر الفصد يتفصد، قال ليتقصد وهذه هي الرواية الصحيحة الثابتة.

**ثم قال:** عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَجُلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ، (وَهُوَ التَّعَبُدُ) اللَّيَالِي أُولَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: **اقْرَأْ**. قَالَ: **"مَا أَنَا بِقَارِي"** قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: **اقْرَأْ**. قَالَ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِي، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: **اقْرَأْ**. فَقُلْتُ: **مَا أَنَا بِقَارِي**، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١ - ٥] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. ثُمَّ قَالَ لِحَدِيجَةَ: "أَيُّ خَدِيجَةُ! مَا لِي" وَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ. قَالَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا. أَبَشِرْ. فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا. وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى. وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، أَخِي أَبِيهَا. وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ. وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيُّ عَمِّ اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَحِيكَ. قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَحِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَ مَا رَأَهُ. فَقَالَ لَهُ

وَرَقَّةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزِلَ عَلَى مُوسَى. يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعَا. يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا  
حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟" قَالَ  
وَرَقَّةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ  
نَصْرًا مُؤَزَّرًا."

هذا الحديث أيضاً فيه بيان لصور نزول الوحي على النبي ﷺ وبدأ هذا  
الحديث برواية شيخه يحيى بن بُكير من أشياخه في مصر وهو حافظ وهو  
من أضبط الناس في الليث وهنا يروي عن الليث (الليث إمام أهل مصر في  
الحديث) عن عُقيل (بالتصغير) وأيضاً هنا عُقيل من أثبت الناس في محمد  
بن شهاب الزهري، والزهري هنا عن بن شهاب نُسب إلى جده لشهرة  
جده، وهذه طريقة عند المحدثين أن يُنسب الإنسان إلى جده السادس أو  
السابع حسب الشهرة، والزهري أحياناً يُورد في الأسانيد يُقال حدثنا محمد  
بن شهاب، ويُقال أحياناً حدثنا بن شهاب، وأحياناً يُقال حدثنا الزهري.

ولذلك مرة من المرات كنت أقول للأخوة يعني الذين يقولون أن التقنيات  
تُغني الطالب في البحث عن الرجوع إلى الكتب، فقلت لأحدهم اجث عن  
مرويات الزهري في الكتب الستة، فضغط ضغطة زر فخرجت مرويات  
الزهري في الكتب الستة ولكنها كانت تمثل فقط ربع مرويات ماذا؟ الزهري؛  
لأنه يحتاج أن يُدخل ماذا؟ المفردات الأخرى، لا بد أن يُدخل ابن شهاب،  
ويُدخل محمد بن شهاب، ويُدخل الزهري حتى تخرج النتائج كُلية، فالعقل  
البشري هو الذي يؤصل ويضبط هذه التقنيات حتى تسير قُدماً في إعطاء  
النتائج.



قال عن عروة بن الزبير وقد سبق أن أشرنا إليه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤية الصالحة" هنا من الوحي ، من هنا قال بعض العلماء أنها تبعوضه أي من بعض صور الوحي لأننا ذكرنا أن الوحي له صور كثيرة، وقد تكون أيضاً بيانية تحتمل المعنيين بيان صور الوحي، ويستقيم الأمران فيه.

**قال الرؤية الصالحة**، يعني من صور الوحي الرؤية الصالحة، وعكس الرؤية الصالحة الأضغاث (أضغاث الأحلام التي لا عبرة لها)، وهنا قال في النوم، طيب هل الرؤية تكون في اليقظة أم في النوم؟ أجيئوا ما رأيكم؟ ممكن واحد يحلم وهو في اليقظة؟ لا يمكن صح؟ هذا من باب مزيد ماذا؟ التأكيد، من باب مزيد التأكيد وهذا كثير في لغة العرب إرادة التأكيد ببعض المفردات التي تُقيد.

**قال: . فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ "** مثل خروج الصبح، وهذا تشبيه في جهة الوضوح والظهور أن الرؤية التي يراها النبي ﷺ في المنام تقع كما هي في الواقع ظاهرة، بينة سواء وقعت في نفس اليوم أو تأخرت، لكنها تقع كما كان النبي ﷺ يراها، وهذا فيه كما أشرنا أن الرؤية أحد صور الوحي.

**وعلى هذا نضع معنا ثلاثة صور:**

- الصورة الأولى أن يأتيه مثل صلصلة الجرس (الصوت المتتابع).
- الصورة الثانية أن يتشكل له في هيئة رَجُل.

● الصورة الثالثة هنا الرؤية الصالحة.

فذكر ثلاثة صور لنزول الوحي على النبي ﷺ .

**قال:** " **ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ** " (الخلاء أي الذهاب إلى مكان فيه خلوة بعيد عن الناس، بعيد عن الناس) وقال العلماء أن هذا كان مقصوداً لأنه كان لا يُحب ما عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والعقائد والعادات الموجودة، فكان يجب أن يتعد عنهم في خلوة، وهذه الخلوة كما قال العلماء مُعِينَةٌ على فراغ القلب، ونشاط الذهن والتفكير والتأمل، وانظر إلى حالك لما تكون في خلوة ولما تكون في مجتمع عام كيف يكون الفرق في نشاط الذهن والتأمل والتفكير.

**قال:** " **فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ** " [الغار هو النقب في الجبل أي الثقب في الجبل]، وحرء جبل معروف في مكة، وهذا الضبط هو الأقرب، حرء وجاء بالقصر حرا من غير الهمز، والأقرب هذا الضبط حرء بالهمز.

**قال:** " **يَتَحَنَّنُ فِيهِ** " وهنا غار حرء خلوة النبي ﷺ في غار حرء فيه صعوبة وكون الإنسان يذهب إلى ثقب وغار في الجبل في ليالي مظلمة، بعيد عن الناس كلهم، ويجلس يتفكر فيه من الصعوبة ما فيه، ولكن قال العلماء أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** هيئ الأسباب النفسية والجسدية للنبي ﷺ ، الصعود إلى الغار (غار حرء) تحتاج إلى قوة بدنية وتحتاج إلى قوة قلبية، لو قيل لأحدكم اذهب فوق الجبل واجلس فيه ليست ليلة واحدة، ساعتين فقط، ألا ترد عليه الهواجس والخوف والأمور الكثيرة، هذا يحتاج إلى قوة قلب، والصعود

إلى الجبل يحتاج إلى القوة الجسدية ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ هبى النبي ﷺ مثل هذه الأمور فأعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ القوة المناسبة، قوة القلب وقوة البدن للتعبُد.

**قال: "يَتَحَنَّثُ"** والتحنث هنا كما جاء هو التعبُد، لماذا جاء هذا التفسير؟  
طبعاً كلمة يتحنث يأتي على معنيين:

- يأتي بمعنى الوقوع في الإثم (يقع في الحنث).

- ويأتي بمعنى الخروج من الحنث والبعد عن الإثم.

والمعنى الثاني هو المقصود أن النبي ﷺ ابتعد عن الإثم، وحصل منه ماذا؟  
التعبُد، ولما كانت هذه الكلمة تحمل المعنيين؛ جاء تفسيرها هذا التفسير  
هنا وهو التعبُد، هذه العبارة مُدرجة (مُدرجة من كلام الزهري أحد الرواة في  
الحديث وليس من كلام عائشة رضي الله عنها، والمدرج هو كلام لأحد  
الرواة يدخله في المتن وتأتي لأسباب كثيرة وتعرف بالقرائن) فهذه العبارة  
التفسيرية مُدرجة من كلام الزهري، لماذا قالها الزهري؟ لأن كلمة التحنث  
تفيد أكثر من معنى فأراد ضبط المعنى وبيانه، وجاء في بعض الروايات  
فيتحنف، يتحنث (يتحنف) أي على الحنيفية، والحنيفية هي الميل من  
الشرك إلى التوحيد، هنا هذه العبارة يتحنث أطال العلماء الكلام عليها  
كيف يتحنث ويتعبُد النبي ﷺ والوحي بعد لم ينزل عليه؟ والرسالة غير  
موجودة؟ فذكروا أقوال فقالوا أنه كان يتحنث على الفطرة الموجودة في نفس  
الإنسان، الفطرة السليمة وقالوا بقايا ما كان عليه إسماعيل أي مما هو فيه  
السلامة من العبادات، ومهما ذُكر من الأقوال العلماء قالوا أن القصد منه  
يتقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بالتأمل والتدبر.

وذكر البعض أن التعبد كان نوع إلهام من الله ﷻ في مثل هذا الموطن، لكن كما قلنا الخلاصة أن فيه التقرب إلى الله ﷻ .

**قال:** " وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي أُولَاتِ الْعَدَدِ " هنا أجهم قال الليالي ذوات العدد؛ لأن العدد غير معلوم كم كان يجلس أي الفترة المحددة قبل أن ينزع إلى أهله، يعني يجلس فترة يتعبد ثم ينزع، ينزع يعني يرجع إلى أهله (يرجع إلى أهله) يرجع إلى بيته ويتزود لذلك (يتزود أي يأخذ الزاد، الزاد من الطعام والشراب، لأنه في مكان خلوة فوق الجبل يحتاج إلى الطعام والشراب) وهذا فيه الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ﷻ، وأن الأمران يتفقان ولا يختلفان، فأصل التوكل هو الاعتماد على الله ﷻ مع الأخذ بالأسباب، فأخذ بأسباب البقاء من الطعام والشراب.

**قال:** " ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ " خديجة زوجته يرجع اليه فيتزود لمثلها، يعني كل ما ينزل يتزود لليالي المحددة التي كان النبي ﷺ يمكث فيها في غار حراء.

**قال:** " حَتَّىٰ فَجَاءَهُ الْحَقُّ " الحق هنا المراد به الوحي، والحق كلمة عامة تُطلق على كثير من الأمور، تُطلق على القرآن والسنة ويطلق على الوحي، لكن هنا المراد به الوحي.

**قال:** " حَتَّىٰ فَجَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ " وهنا أيضاً الألف واللام عهدية كما أسلفنا أي المقصود جبريل - عليه السلام - فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِيٍّ" لم يقل النبي ﷺ لن أقرأ، قال: ما أنا بقارئ، نفى عن نفسه وصف القراءة؛ لأن النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، والنصوص في

ذلك كثيرة، " قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي " (أي ضمه، ضم النبي ﷺ والغط يُطلق على الضم، وعلى العصر، ويُطلق على الغطس، ومنه في اللغة الشائعة غطه في الماء، في لغة العرب يُطلق على هذه المعاني) وهنا بمعنى الضم، ضم النبي ﷺ .

**قال:** " قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ " الجهد: الطاقة، استنفذ من النبي ﷺ طاقة شديدة، وجهد كبير لما ضمه الوحي.

**قال:** " ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ " وهذا فيه كما قال: العلماء تكرر العلم ثلاثاً (تكرار العلم ثلاثاً)، وأن العلم يُكرر حتى يرسخ، فالتكرار يورث الاستقرار، وسوف يأتينا إن شاء الله في كتاب العلم لا حقاً.

" قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)** ﴿سورة العلق﴾، الآيات.

وهي أول ما نزل من القرآن هذه الآيات، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآيات أن البسملة ليست من السورة (البسملة ليست آية من السورة) لأنه لم يقل له بسم الله الرحمن الرحيم، وإنما بدأ مباشرة بذكر الآيات، وهذه الآيات في ثناياها ذكر العلم والقلم وله تعلق بالوحي، وإنما يُعلم النبي ﷺ ويحفظه ثم يُكتب أن هذا سيبقى ويرسخ كما سوف يأتي بعد ذلك.

**قال:** " تَرْجِفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ "، قال: النبي ﷺ رجف فؤاده لأمرين: من الخوف والاستغراب، أول مرة يرى الملك فاجتمع لديه الخوف والاستغراب والتعجب.

**قال: " حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. ثُمَّ قَالَ لِحَدِيجَةَ: "أَيُّ خَدِيجَةَ! مَا لِي" وَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ. قَالَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" "** (هنا خشيت على نفسي ذكر العلماء فيها أقوال كثيرة جداً، ذكرها الحافظ بن حجر في الفتح اثني عشر قول فيها، والأقرب فيها كما قال العلماء الموت أو المرض، خاف على نفسه الموت من ضمة الوحي القوية التي كانت له، وقيل المرض، وقيل مبادئ المرض، وقيل غير ذلك مما خشاه النبي ﷺ).

**فقالت خديجة: " كَلَّا. فَوَ اللَّهُ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا "** وهذا فيه ذكاء خديجة وفطنتها فربطت بين أعمال النبي ﷺ وبين أخلاقه وبين حفظ الله ﷻ .

**فقالت خديجة: " كَلَّا. فَوَ اللَّهُ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا "** هذا فيه معنى الآية ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (١) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٢) فَسَنِيسِرُّهُ لِيُسرَى (٣)﴾ [سورة الليل].

أي من فعل الخير وتحلى بهذه الأخلاق فإن الله ﷻ يُيسر له ويحفظه، ثم ذكرت جملة من الصفات التي كان النبي ﷺ يتصف بها، وهذا فيه من الفوائد جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمنت الفتنة، فهنا خديجة مدحت النبي ﷺ ، فإذا أمنت الفتنة جاز مدح الرجل في وجهه، وبعض العلماء ذكر يعني قيد أمن الفتنة والحاجة إذا وجدت الحاجة.

قال: "إنك لتصل الرحم" وصلة الرحم أي على وجه الابتداء وليس على وجه المكافأة، "ليس الواصل بالمكافئ" كما قال النبي، وثمره صلة الرحم أن الله وَعَلَىٰ يصله.

قال: " **وَتَحْمِيلُ الْكَلِّ** " الكل هنا الضعيف الذي لا يستطيع أن يحمل نفسه، وقال البعض لا يحمل نفسه جسدياً فيُعينه، وقيل لا يحمل نفسه مادياً فيُعينه بالمال.

" **وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ** " والمعدوم هو المعدم الذي لا مال له، الفقير، يعطي الفقير؛ ولذلك جاءت بالضبط الثاني وتُكسب المعدوم، وجاءت بالنصب وتكسب المعدوم.

وتقري الضيف القرا هي الإكرام، وما يُقدم ضيافة للناس أو الضيفان.

قال: **وتعين على نوائب الحق النوائب** هي الأمور التي تُلم بالإنسان مهما كان حالها فكان النبي ﷺ يقف مع الناس في نوائبهم (ما ينزل بهم من أمور مختلفة).

قال: **فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة**، وهذا فيه أن الإنسان إذا لم يعرف الشيء فيوكله إلى من يعرف هذا الشيء، فهي انتقلت إلى ورقة بن نوفل لأنه أعلم بهذا الحال وهذه الصورة التي حصلت للنبي ﷺ من نزول الوحي، وكان امرئٍ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، كان يعرف اللسان

النصراني، ويعرف اللسان العربي، وكان على بقايا ما عليه النصرانية قبل أن يستفحل التحريف.

قال: فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي وهذا فيه أن كبار السن أخبر إما من جهة العلم وإما من جهة التجربة.

فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له (وهذا فيه تأهيل السامع للكلام وهي من آداب الاستماع أن يؤهل المستمع) فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى (ما حدث له في غار حراء) فقال له ورقة هذا الناموس (والناموس هو الرسول الذي يُرسل سراً عند العرب، أي رسول يُرسل سراً يُقال له الناموس، وهنا يُقصد به جبريل).

قال: " الَّذِي أُنزِلَ عَلَى مُوسَى " وهنا قال العلماء لماذا لم يذكر عيسى مع أن ورقة كان على دين عيسى؟ ولكن ذكر هنا موسى، فأجيب بأجوبة كثيرة من أحسنها أن ما نزل على موسى كان أعم في الأحكام مما نزل على عيسى فكان أخص، وأيضاً قالوا أن مشابهة حال موسى مع قومه أقرب من مشابهة عيسى - عليه السلام - مع قومه إلى النبي ﷺ .

والعلماء يعني الذي يقرأ كُتُب التفسير يجد هناك تشابه بين الأحداث في قصة موسى مع قومه وبين دعوة النبي ﷺ مع قومه.



**فقال: " لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا "** أي صغيراً، والجدع الصغير من الغنم، فهذا أراد قال يا ليتني كنت صغيراً أي في سن الشباب. لماذا؟ حتى ينصره وحتى يقف مع النبي ﷺ .

**قال: " لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. "** وهذا فيه الحكمة التي كان يتحلى بها ورقة بن نوفل وبعد النظر؛ لأنه قال استنتج من الأحوال السابقة أنه سيُطرد عندما يأتي بالرسالة ويُخبر الناس بهذا الدين، وفيه أيضاً أن الناس يستنكرون كل أمر جديد يرد عليهم لم يعتادوه، وهذا جلي حتى في السنة لما تُحيا سنه جديدة في الناس يستنكرون هذا الأمر، وكذلك الوحي الذي يأتي إلى الناس.

**فقال رسول الله ﷺ: " أَوْ مُخْرِجِي هُمْ "** (هل سيخرجون يعني من مكاني كان النبي ﷺ مستغرباً لا يتوقع مثل هذا الأمر) قال نعم، قال لم يأتي رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي" وهذا فيه إشارة إلى وقوع الابتلاء في نشر دعوة التوحيد والحق، وأن الإنسان لا يسلم من الابتلاء، ويتعرض للأذى، وقد يُطرد ن بلده ويكون نائياً بسبب نشر التوحيد والسنة.

**قال: " وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. "**

" وهذا قال فيه العلماء أن فيه إيمان ورقة بالنبي ﷺ ، ولذلك قالوا أول من آمن من الرجال بالنبي ﷺ هو ورقة واستدلوا بهذه العبارة، والبعض قال أن هذا كان قبل الرسالة، وبعد الرسالة أبو بكر رضي الله عنه وهي مسألة يعني خلافة

في أول من آمن بالنبي ﷺ ، وأكثر المحققين أن أول من آمن من الرجال  
ورقة ومن النساء خديجة.

قال: ثم لم ينشب (يعني لم يلبث) ورقة أن توفي (لم يُدرك ما حدث  
بعد ذلك) وفتّر الوحي (يعني انقطع الوحي، فالوحي انقطع بين يعني ما  
أنبئ به النبي ﷺ اقرأ وما نزل من المدثر كان بينهما ثلاث سنوات انقطاع  
ثم كما سوف يأتينا في الحديث بعد ذلك نشط الوحي مرة أخرى في النزول  
على النبي ﷺ .

نقف عند هذا القدر أسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح  
إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وجزاكم الله  
خيراً.